الفصل الرابع

الشعر وأثر السياسة والحضارة فيه

لقد كان أثر هذا الانتقال الاجتماعي في خواطر الشعراء أبلغ منه في نفوس الكتاب؛ فإن أولئك بالخلفاء ألصق، ونفوسهم بالترف والمدنية أعلق. وهم المنادمون على الشراب، والمفاكهون في السمر. ضاق مضطربهم في السعي فاتسع متقلبهم في الخيال، وغلت أيديهم بالكسل عن العمل فاشتغلت أفئدتهم بالفكر وانطلقت ألسنتهم بالقول. ولم يجدوا العيش ميسوراً بالتأليف لصعوبة النسخ والنشر فتفرغوا لصوغ الشعر في ضروبه المختلفة. ووجدوا من الخلفاء والأمراء مؤازراً، ومن الحضارة والطبيعة ناصراً، ومن القريحة والسليقة مؤاتاة، فالجوا في الشعر جولة لم تتوفر أسبابها لأسلافهم، ونقلوه من البوادي المجدبة، والأخبية المطنبة إلى الرياض الناضرة، والقصور الشاهقة، والمناظر المونقة. على يد زعيم المولدين بشار.

ولقد عرضت للشعر عوارض أثرت عوارض أثرت في أسلوبه ومعانيه وأغراضه وأوزانه.

فأما التأثير في أسلوبه، فبهجر الكلمات الغريبة، وعذوبة التركيب ووضوحه، واستحداث [1] البديع والاستكثار منه، وترك الابتداء [2] بذكر

---

(1) ظهر البديع على قلة في شعر مسلم ابن الوليد ومن بعده حتى جاء أبو تمام فقصد إليه وابن المعتز فأفاض فيه.

(2) أول من كسر هذا القيد مطيع ابن أدس أو أبو نواس على الأرجح يدل على ذلك مثل قوله:

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنه الكرم

وقوله:

يبكي على طلل الماضين من أسد ... لا در درك قل لي من بنو أسد

لا جف دمع الذي يبكي على حجر ... ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد

وقوله:

يا ربع؛ شغلك إني عنك في شغل ... لا ناقتي فيك لو تدري ولا جمل

الأطلال إلى وصف القصور والخمور والغزل، والإغراق في المدح والهجاء، والإكثار من التشبيه والاستعارة، والحرص على التناسب [1] بين أجزاء القصيدة، ومراعاة الترتيب في التركيب.

وأما في معانيه فبتوليد المعاني الحضرية، واقتباس الأفكار الفلسفية، إذ أكثر شعراء هذا العصر ولدان جنسيتين، ورضاع لغتين وأدبين. وربائب حضارتين مختلفتين. ولهذا اللقاح من الأثر في الفكر والعقل ما يعلل لك وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. ثم نقل العرب علوم اليونان وغيرهم فكان لهذا النقل فضل على الشعر في معانيه لا في فنونه، لأنهم لم يترجموا إلا كتب العلم والحكمة، ولم يحفلوا بشعر اليونان وقصصهم، ولا بشعر اللاتين وخطبهم؛ تعصباً لأدبهم وإيثارهم لشعره؛ فلم تؤثر الترجمة في الشعر إلا بما دخله من الخواطر الفلسفية والسياسية والآراء العلمية في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء وأضرابهم.

وأما في أغراضه فبالمبالغة في نعت الخمر ومجالسها، ووصف الرياض والصيد، وغزل المذكر، والمجون، والوعظ، والزهد، والأخلاق، والفلسفة، وضبط العلوم كالنحو وغيره.

وأما في أوزانه، فبالإكثار من النظم في البحور القصيرة، وابتداع أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد وهما عكس الطويل والمديد، والموشح[2] والزجل، والدوبيت[1] وكذلك في القافية كالمُسَمَّطِ[2] والمُزْدَوج.

---

(1) جاء في زهر الآداب عن الحاتمي قوله: مثل القصيدة مثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى الفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر الجسم ذا عاهة تتخون محاسنه وتخفي معالمه. وقد وجدت حذاق المتقدمين وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال حتى يقع الاتصال وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها كالرسالة البليغة والخطبة الموجزة... وهذا مذهب اختص به المحدثون لتوقد خواطرهم ولطف أفكارهم...

(2) أول من ابتدع الشعراء الموشح مقدم ابن معافر من شعراء الأمير ابن عبد الله المرواني، (وهم ينظمونه أسماطاً أسماطاً؛ وأغصاناً أغصاناً، ويكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً. ويلتزمون قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب. ثم

ولما انفرط عقد الخلافة، وتعددت حواضر الدولة، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشعر في غير بغداد ملاذاً وحمى؛ فانتقل إلى تلك الأمصار فصادف من أمثال بني بويه وآل حمدان أكفا سمحة، وصدور رحبة، وربوعاً خصبة، فازداد ابتكاراً وانتشاراً وكثرة. ولنظرة عجلى في فهرس اليتيمة للثعالبي [3] تكفيك لتعلم أثر ذلك التشعب السياسي في نهضة الشعر، إذ

=

نسج أهل الأمصار على منوال الموشح، ونظموا بلغتهم الحضرية من غير التزام إعراب، وسموا هذا النوع بالزجل. وأول من أبدعه أبو بكر ابن الزمان الأندلسي...) أنظر مقدمة ابن خلدون.

(1) الدوبيت: مأخوذ من لفارسية بدليل اسمه وسمي بذلك لأنه ينظم بيتين بيتين، (ودو بالفارسية اثنان) وهو مشهور عند الفرس بالرباعي ووزنه: فطن متفاعلن فعولن فعلم كقول بعضهم:

قد أقسم من أحبه بالباري أن يبعث طيفه مع الأسحار

يا نار أشواقي به فانقدي ليلا فعساه يهتدي بالنار

أما المواليا فأول من نظمه بعض صنائع البرامكة بعد نكبتهم. فكانوا ينوحون عليهم به ويكثرون من قولهم (يا موالي) فعرب بهذا الاسم وهو مشهور بين عامة مصر.

(2) المسمط هو أن يبتدئ الشاعر بيت مصرع ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته، ثم يعيد قسيما على قافية البيت الأول. وربما خلا من البيت المصرع وكان على أقل من أربعة أقسمة كقول القائل:

غزال هاج لي شجناً فبت مكابداً حزنا عميد القلب مرتهناً بذكر اللهو والطرب

أما المزدوج فهو ان يؤتي بشطرين من قافية، ثم بآخرين من أخرى، كقول أبي العتاهية:

حسبك مما تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت

إن الشباب حجة النصابي روائح الجنة في الشباب

(3) هو أبو منصور عبد الملك ابن محمد ابن إسماعيل الثعالبي ولد نيسابور وعكف على تحصيل العلم والأدب حتى انتهت إليه الزعامة فيهما، وهو خاتمة المترسلين في العصر العباسي وأكثر الأدباء آثاراً وأغزرهم مادة. وهو يجري على طريقة ابن العميد في النثر والشعر. وله مؤلفان كثرة في الأدب، أهمها بلية الدهر، وهي أربع مجلدات جمع فيها مختار المنثور والمنظوم لأدباء عصره مع ذكر تراجمهم، وكتاب فقه اللغة في دقائق الألفاظ المترادفة، وكتاب سر العربية، وسحر البلاغة، ومن غاب عنه المطرب. وتوفى سنة 429.

كان الأمراء يتقيلون الخلفاء في تقريب الشعراء وتعضيد الأدباء. والشعر والعلم كما رأيت لا يزهوان إلا في ظل ملك أو أمير [1].

وما زال الشعر على حاله من العناية بالألفاظ، والإصابة للغرض، والافتنان في المعنى، حتى تجرم القرن الخامس للهجرة، فذهب معه جمال الشعر العربي من الشرق، وفقد تأثيره في النفوس، لذهاب المعضدين له من بني بويه، وقلة الراغبين فيه من آل سلجوق [2]، واستشعار النفوس لذل الغلبة والقهر بتوالي الفتن والمحن، فانصرفت الخواطر إلى التصوف والأدعية، وعيت القرائح عن التوليد والابتداع، فجلا الشعراء معاني الأقدمين في حلل مهلهلة النسج منمقة الوشي، وأخذوا يتعلقون بالبديع، ويغلون في المجاز والكناية، ويقلدون العجم في إغراقهم ومهاواتهم الملوك [3] والأمراء، ولاسيما المتأخرون منهم، حتى أصبح غرض الشعر عندهم إنما هو الكذب والاستجداء

---

(1) قال أسامة ابن معقل: كان السفاح راغبا في الخطب والرسائل يصطنع أهلها ويثيبهم عليها، فحفظت ألف رسالة وألف خطبة طلباً للخطوة عنده فنلتها. وكان المنصور يعده معنيا بالأسمار والأخبار وأيام العرب يدني أهلها ويجزيهم عليها، فلم يبق شيء من السمار والأخبار إلا حفظته طلبا للقربة منه فظفرت بها. وكان موسى مغرماً بالشعر يستخلص أهله، فما تركت بيتاً نادراً فاخراً، ولا شعراً ولا نسيبا سائراً إلا حفظته. وأعانني على ذلك طلب الهمة في علو الحال. ولم أر شيئاً أدعى إلى تعلم الأدب من رغبة الملوك في أهلها وصلاتهم عليها، ثم زهد هارون في هذه الربعة فأنسيتها حتى كأني لم أحفظ منها شيئاً.

(2) أسرة من الترك تنتسب إلى جدها سلجوق. تألبوا على الدولة العباسية وهي في انحلالها ونهايتها فاستولوا على ملكها واستقلوا به استقلالا فعليا سنة 442 هـ.

(3) تشجيع الخلفاء والأمراء للشعراء بالجوائز والعطايا كان له ضرر في خفض الشعر كما كان له نفع في رفعه؛ وذلك لأن الشعراء الذين ما كانوا يجدون السبيل إلى الرزق إلا بالخطوة لدى الملوك والأمراء، اضطروا إلى قول الشعر وإن لم تدفعهم شهوة إلى قوله. فكدوا الخاطر وأجهدوا الطبع؛ فجاءوا بالشعر الكاذب المتكلف، ونزلوا عن استقلالهم الشخصي وهو أرفع محاسن النفس إلى حضيض التملق الدنيء والنفاق السافل. ذلك أن الطمع في صلات الكبراء دفع كثيراً من ضعفاء السليقة في الشعر إلى قرضه فأتوا منه بالحقير التافه، وكان ذلك من الأسباب التي ساعدت على انحطاطه.

فقالوا. " أعذب الشعر أكذبه ". ثم كان مآل الشعر في هذا العصر كمآل النثر فيه سواء بسواء.

وأنت إذا أخذت الشعر العربي كله بنظرة واحدة فعرضت تاريخه كما تعرض تاريخ الكائن الحي وجدته قد تطور في موضوعه تطور الأمة لعربية، وقطع معها مراحل الحياة الإنسانية؛ فهو في الجاهلية أنغام صبى، وحماسة فتوة وعواطف أثرة، وفي الإسلام أناشيد جهاد، وثوران عصبية، وأطماع حياة. ثم استحار شبابه واكتمل في صدر الدولة العباسية، فظهر في شعر بشار وأبي نواس وأضرابهما عبث شباب، وأغاني طرب، ومظاهر ترف. ثم عض على نواجذ الحلم واكتهل في أوساطها فبدا في شعر ابن الرومي وأبي تمام والمتنبي وأمثالهم دروس تجربة، ونتائج حكمة، وخواطر فلسفة. ثم أدركه الهرم في أواخرها فظهر في شعر المتأخرين تمويه صنعة، وخرف شيخوخة، ومعالجة روح. أما ولادته وطفولته فلم يدركهما التاريخ ولم يدخلا في علمه.

نماذج من الشعر العباسي

الحماسة

قال أبو فراس الحمداني:

ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجت آساداً غضابا
أسنته إذا لاقى طعانا صوارمه إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مشرعات فكنا عند دعوته الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميها أصابا
فلما اشتدت الهيجاء كنا أشد مخالباً وأحد نابا
وأمنع جانباً وأعز جاراً وأوفى ذمة وأقل عابا
إذا ما أرسل الأمراء جيشاً إلى الأعداء أرسلنا الكتابا

وقال أبو الطيب المتنبي:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرءوس الرماح أذهب للغيظ وأشفي لغل صدر لحقود
لا كما قد حييت غير حميد وإذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذل (م) ولو كان في جنان الخلود

المدح

قال أبو تمام:

بمهدي ابن أصرم عاد عودي إلى إيراقه وامتد باعي
سعى فاستنزل الشرف اقتساراً ولولا السعي لم تكن المساعي
ونغمة مُعْتَف يرجوه أحلى على أذنيه من نغم السماع

جعَلْـتَ الْجُـودَ لأْلاءَ المسَـاعي وهـلْ شـمسٌ تكـونَ بـلا شـعاعِ؟
ولـم يحفـظ مضـاع المجـد شـيء مـن الأشـياء كالمـال المضـاع
ولـو صـورت نفسـك لـم تزدهـا علـى مـا فيـك مـن كـرم الطبـاع

وقال المتنبي:

قـوم بلـوغ الغـلام عنـدهم طعـن نحـور الكمـاة لا الحلـم
كأنمـا يولـد النـدى معهـم لا صـغر عـاذر ولا هـرم
إذا تولـوا عـداوة كشـفوا وإن تولـوا صـنيعة كتمـوا
تظـن مـن كثـرة اعتـذارهم أنهـم أنعمـوا ومـا علمـوا
إن برقـوا فـالحتوف حاضـرة أو نطقـوا فالصـواب والحكـم
تشـرق أعراضـهم وأوجههـم كأنهـا فـي نفوسـهم شـيم
أعيـذكم مـن صـروف دهركمـو فإنـه فـي الكـرام مـتهم

وقال ابن الرومي:

كـأن مواهبـه فـي المحـول آراؤه عنـد ضـيق الحيـل
فلـو كـان غيثـاً لعـم الـبلاد ولـو كـان سـيفاً لكـان الأجـل
ولـو كـان يعطـي علـى قـدره لأغنـى النفـوس وأفنـى الأمـل

الرثاء

قال الحسين ابن مطير يرثي معن ابن زائدة:

ألمـا علـى معـن وقـولا لقبـره سـقتك الغـوادي مربعـا ثـم مربعـاً
فيـا قبـر معـنٍ أنـت أول حفـرة من الأرض خطت للسماحة مضجعاً
ويـا قبـر معـن كيـف واريـت جـوده وقـد كـان منـه البـر والبحـر مترعـاً!
بلـى قـد وسـعت الجـود والجـود ميـت ولـو كـان حيـا ضـقت حتـى تصـدعا!

فتى عيش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعاً
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال محمد ابن عبد الملك الزيات يرثي زوجته:

ألا من رأى الطفل المفارق أمه يعيد الكرى عيناه تنسكبان؟
رأى كل أم وابنها غير أمه يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً في الفراش تجنه بلابل قلب دائم الخفقان
فلا تلحياني إن بكيت فإنما أداوي بهذا الدمع ما تريان
فهبني عزمت الصبر عنها لأنني جليد، فمن بالصبر لابن ثمان؟
ضعيف القوى لا يطلب الأجر حسبه ولا يأتسي بالناس في الحدثان
فلم أر كالأقدار كيف تصيبني ولا مثل هذا الدهر كيف رماني
أعيني إن لم تسعدا اليوم عبرتي فبئس إذن ما في غد تعداني

وقال المتنبي يرثي أخت سيف الدولة:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقة أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

الهجاء

قال مسلم بن الوليد:

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

وقال أبو تمام:

كم نعمة الله كانت عنده فكأنها في غربة وإسار
كسيت سبائب لؤمه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء في الأمطار

وقال ابن الرومي:

يُقتِّـــر عيســـى علـــى نفســـه ولـــيس ببـــاق ولا خالـــد
فلـــو يســـتطيع لتقتيـــره تـــنفس مـــن منخـــر واحـــد

وقال المتنبي في كافور الإخشيدي:

أكلمـا اغتـال عبـد السـوء سـيدة أو خانـه فلـه فـي مصـر تمهيـد؟
صـار الخصـى إمـام الآبقـين بهـا فـالحر مسـتعبد والعبـد معبـود!
نامـت نـواطير مصـر عـن ثعالبهـا حتـى بشـمن ومـا تفنـى العناقيـد
العبـد لـيس لحـر صـالح بـأخ لـو أنـه فـي ثيـاب الحـر مولـود
لا تشـتر العبـد إلا والعصـا معـه إن العبيـد لأنجـاس مناكيـد
من علم الأسودَ المخصيَّ مكرمُة؟ أقومـه البـيض أم آبـاؤه الصـيد؟
أم أذنـه فـي يـد النخـاس داميـة أم قـدره وهـو بالفلسـين مـردود؟
وذاك أن الفحـول البـيض عـاجزة عن الجميل فكيف الخصية السود؟

وقال ابن لنكك:

وعصـــبة لمـــا توســـطتهم صـــارت علـــى الأرض كالخـــاتم
كـــأنهم مـــن ســـوء أفهـــامهم لـــم يخرجـــوا بعـــد إلـــى العـــالم
يضـــحك إبلـــيس ســـروراً بهـــم لأنهـــم عـــار علـــى آدم

الوصف

قال البحتري من قصيدته في وصف إيوان كسرى:

صـنت نفسـي عمـا يـدنس نفسـي وترفعـت عـن جـدا كـل جـبس
وتماسـكت حـين زعزعنـي الـدهر التماسـا منـه لتعسـي ونكسـي
بلـغ مـن صـبابة العـيش عنـدي طففتهـا الأيـام تطفيـف بخـس
وكـأن الزمـان أصـبح محمـولا هـواه مـع الأخـس الأخـس

واشترائي العراق خطة غبن بعد بيعي الشام بيعة وكس
ولقد رابني نبو ابن عمي بعد لين من جانبيه وأنس
وإذا ما جفيت كنت حرياً أن أرى غير مصبح حيث أمسى
حضرت رحلي الهموم فوجمت إلى أبيض المدائن عنسى
أتسلى عن الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ولقد تذكر الخطوب تنسى
وهُمُ خافضون في ظل عال مشرف يحسر العيون ويخسى
مغلق بابه على جبل القيق إلى دارتي خلاط ومكس
حلل لم تكن كأطلال سعدي في قفار من البسابس ملس
ومساع لولا المحاباة مني لم تطقها مسعاة عنس وعبس
نقل الدهر عهدهن عن الجدة حتى غدون أنضاء لبس
فكأن الجرماز من عدم الأنس وأخلاقه بنية رمس
لو تراه علمت أن الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم لا يشاب البيان فيهم بلبس
وذا ما رأيت صورة أنطاكية أرتعت بين روم وفرس
والمنايا مَوَاثِلٌ وأنو شروان يزجي الصفوف تحت الدرفس
وعراك الرجال بين يديه في خفوت منهم وإغماض جرس
من مشح يهوي بعامل رمح وملیح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحياء لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى تتقراهم يدي بلمس
قد سقاني ولم يُصَرِّد أبو الغوث على العسكرين شربة خلس

مـــن مـــدام تقولهـــا هـــي نجـــم أضـــوأ الليـــل أو مُجاجـــة شـــمس
وتراهـــا إذا أجـــدت ســـروراً وارتياحـــاً للشـــارب المتحســـي
أفرغت في الزجاج من كل قلب فهـــي محبوبـــة إلـــى كـــل نفـــس
وتوهمـــت أن كســـرى أبرويـــز معـــاطي والبلْهَبَـــذَ أنســـي
حلـم مطبقـي علـى الشـك عينـي أم أمـــان غيـــرن ظنـــي وحدســـي
وكـأن الإيـوان مـن عجـب الصنعة جـوب فـي جنـب أرعـن جلـس
يتظنـــى مـــن الكآبـــة إن يبـــد لعينـــي مصـــبح أو مُمَسِّـــي
مزعجـاً بـالفراق عـن أنـس إلـف عـــز أو مرهقـــاً بتطليـــق عـــرس
عكسـت حظـه الليـالي وبـات الـ مشـترى فيـه وهـو كوكـب نحـس
فهـــو يبـــدي تجلـــداً وعليـــه كلكـــل مـــن كـــلا الـــدهر مرســـى
لـــم يعبـــه أن بـــز مـــن بســـط الـديباج واستل من ستور الدمقس
مشـــمخرٌ تعلـــو لـــه شـــرفات رفعـت فـي رءوس رضـوى وقـدس
لابسـات مـن البيـاض فمـا يبصـر منهـــا إلا غلائـــل بـــرس
لـيس يـدري أصـنع إنـس لجـن ســكنوه أم صــنع جــن لإنــس
غيـــر أنـــي أراه يشـــهد أن لـــم يـــك بانيـــه فـــي الملـــوك بـــنكس
فكـــأني أرى المراتـــب والقـــوم إذا مـــا بلغـــت آخـــر حســـي
وكـأن الوفـود ضـاحين حسـرى مـن وقـوف خلـف الزحـام وخـنس
وكـــأن القيـــام وســـط المقاصـــير يـــرجعن بـــين حـــو ولعـــس
وكـــأن اللقـــاء أول مـــن أمـــس ووشـــك الفـــراق أول أمـــش
غمـرت للسـرور دهـراً فصـارت للتعـــزي ربـــاعهم والتأســـي
فلهـــا أن أعينهـــا بـــدموع موقفـات علـى الصـبابة حـبس

ذاك عندي وليست الدار داري باقتراب منها ولا الجنس جنسي
غير نعمى لأهلها عند أهلي غرسوا من زكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه بكماة تحت السنور خمس
وأعانوا على كتائب أرياط بطعن على النحور ودعس
وأراني من بعد أكلف بالأشراف طراً من كل سن وأس

وقالت إحدى شواعر الأندلس تصف وادي آش:

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم
حللنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد العظيم
يصد الشمس أني واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

الحكم والأمثال

قال بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أوصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت، وأي الناس تصفو مشاربه

وقال مسلم بن الوليد:

حسبي بما أبدت الأيام تجربة سعى علي بكأسيها الجديدان
دلت على عيبها الدنيا وصدقها ما استرجع الدهر مما كان أعطاني
ما كُنتُ أَدَّخِرُ الشَكوى لِحادِثَةٍ، حَتّى اِبتَلى الدَهرُ أَسراري فَأَشكاني

وقال أبو العتاهية:

الصمت أجمل بالفتى ... من منطق في غير حينه
لا خير في حشو الكلام ... إذ اهتديت إلى عيونه
كل امرئ في نفسه ... أعلى وأشرف من قرينه

وقال أبو تمام:

من لي بإنسان إذا أغضبته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من ... أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه ... وبسمعه ولعله أدري به!

وقال البحتري:

وترت القوم ثم ظننت فيهم ... ظنوناً لسن فيها بالحكيم
فما خرق السفيه وإن تعدى ... بأبلغ فيك من حقد الحليم
متى أحرجت ذا كرم تخطى ... إليك ببعض أخلاق اللئيم

وقال ابن الرومي:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يحول من الطعام أو الشراب
وما اللجج الملاح بمرويات ... وتلقي الري في النطف العذاب

وقال المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به ... من أكثر الناس إحسان وإجمال
لولا المشقة ساد الناس كلهم ... الجود يفقر والأقدام قتال
وإنما يبلغ الإنسان طاقته ... ما كل ماشية بالرحل شملال
ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ... ما قاته، وفضول العيش أشغال

الاعتذار والاستعطاف

قال علي ابن الجهم يعتذر للمتوكل:

عفا الله عنك إلا حرمة ... تجود بعفوك أن أبعدا

لئن جل ذنب ولم اعتمد ... لأنت أجل وأعلى يدا

ألم تر عبداً عدا طوره ... ومولى عفا ورشيداً هدى؟

ومفسد أمر تلافيته ... فعاد فأصلح ما أفسدا

أقني أقالك من لم يزل ... يقيك ويصرف عنك الردى

وقال البحتري:

فديناك من أي خطب عرى ... ونائبة أوشكت أن تنويا

وإن كان رأيك قد حال في ... وأوليتني بعد بشر قطوبا

أكذب نفسي بأن قد سخطت ... وما كنت أعهد طني كذوبا

ولو لم تكن ساخطاً لم أكن ... أذم الزمان وأشكو الخطوبا

أيصبح وردي في ساحتيك ... طرقاً ومرعاي محلاً جديبا!

وما كان سخطك إلا الفراق ... أفاض الدموع وأشجى القلوبا

ولو كنت أعرف ذنباً لما كان ... خالجني الشك في ان أتوبا

سأصبر حتى ألاقي رضاك ... إما بعيداً وإما قريباً

أراقب رأيك حتى يصح ... وأنظر عطفك حتى يثوبا

وقال سعيد بن حميد:

لم آت ذنباً، فإن زعمت بأن ... أتيت ذنبا، فغير معتمد

قد تطرف الكف عين صاحبها ... فلا يرى قطعها من الرشد

ومن قصيدة للمتنبي يستعطف بها سيف الدولة لبني كلاب بعد أن ظفر بهم:

طلبتهم على الأمواء حتى تخوف أن تفتشه السحاب
يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب
وكيف يتم بأسك في أناس تصيبهم فيؤلمك المصاب؟
ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب
وإنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لحادثة أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب مولده دلال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جارمه العقاب